الدين بمقاربة براغماتية- نظرية وليم جيمس الدينية وأساسها الفلسفي

The Pragmatic Approach to Religion

ReligiousTheory of William James and its Philosophical Basis

د. عبد القادر عدالة*

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة معسكر- الجزائر

****

تاريخ الإرسال: 2018/03/10 تاريخ القبول: 2018/11/09 تاريخ النشر: 2018/12/31

الملخص: إن مصداقية المبدأ الديني، من منظور وليام جيمس، لا ترتبط بجانبه المقدس أو المثالي، بل بفائدته المتمثلة في تلبية الاحتياجات المادية. وفي حقيقة الأمر، فإنه إذا استطاعت الأفكار اللاهوتية أن تضمن الأمن والسلام، بنفس الطريقة التي يمكن لفكرة الله أن تحققها، فليس هناك من داعٍ– حسب تعبير جيمس- للفرار من الواقع. تؤكد البراغماتية أن الاستخفاف بالفكرة المفيدة والنافعة لا معنى له عمليًا واقعيًا. وعلى أساس هذا المبدأ، فإن براغماتية وليام جيمس لا تتساءل عن هوية الله وصفاته، من أجل الايمان به أو الكفر به، بل إنها تقيس وتحسب النتائج المحسوسة والملموسة للاعتقاد بالألوهية. باختصار، يجعل هذا المبدأ مجال البحث في اللاهوت واسعًا إلى حدٍ ما.

الكلمات المفتاحية: البراغماتية؛ وليام جيمس؛ الله؛ الدين؛ المنفعة.

Abstract: The validity of the religious principle, from William James perspective,is not related to its sacred or ideal aspect, but rather to its utility in meeting the material needs. In fact, if the theological ideas could ensure security and peace, in the same way that could be done by the idea of God, there would be no reason, according to him to flee from the reality. The pragmatism affirms that the underestimation of a useful and a profitable idea does notpractically and reallymake sense. On the basis of this principle, James' pragmatism does not questioning about God identity and his attributes, in order to believe in himor not, but instead it merely measures and calculates the concrete and tangible consequences of believing in divinity. In sum, this doctrine makes the field of research in theology fairly broad.

Key Words: Pragmatism; William James; God; Religion; Utility.

---

* الباحث المُرسل: adalaabdelkader@hotmail.fr

للمؤلف بعض الإصدارات: "المنير في الفلسفة، مقالات في فلسفة العمل"؛ "المنير في الفلسفة، مقالات في فلسفة المعرفة"؛ "المنطق الصوري من زاوية فكرية معاصرة"؛ وترجمة من الفرنسية لكتاب "الفلسفة في 45 فصلاً" لصاحبيه: أندري فرجيس ودوني ويسمان.

ISSN : 2353 – 0030 / الإيداع القانوني: 6111- 2014

مقدمة:

ممّا هو مؤكد، أن الدين يتمثل في الاعتقاد بمنظومة من الأفكار أو الشرائع أو القيم المتصلة بقوة أو قوى مطلقة ومقدَّسة والإذعان لها، مع انعكاس هذا المعتقد في طقوس وعادات. ومن المعروف أن الذرائعية أو البراغماتية (اللفظان بمعنى واحد) مذهب فلسفي إمريكي معاصر، نشأ على يد شارل ساندرز بيرس(1839-1914). ويقومهذا المذهب على مبدأ أساسي، وهو أن مقياس الحق والحقيقة هو التجربة الحسية المادية. فما صمد أمامها من أفكار أو أحكام أو ألفاظ كان حقاً، وإلاّ فهو باطل. إن التجربة العلمية المخبرية عند بيرس، هي المحك أو "سكِّين أوكّام" للحكم على مختلف القضايا بالصدق أو الكذب. ثم يأتي بقية رواد هذه النزعة ليضيفوا مقياس المنفعة والمصلحة المادية للقضايا، لكي ترقى إلى درجة الحقائق. فالعبرة بالنتائج المادية العملية، لا بالنوايا والأصول والجذور. وأشهر هؤلاء الرواد: وليم جيمس (1842-1910) في مجال الدين، وجون ديوي(1859-1952) في مجالي التربية والمنطق. وكلاهما من علماء النفس المعاصرين الذين ساهموا في إرساء دعائم الاتجاه السلوكي التجريبي في علم النفس.

إذن، فالمفروض ألاّ مكان لقوى مطلقة مقدَّسة في هذا المذهب، ولا معنى للطقوس التعبّدية عند مختلف الملل والنحل حسبه. فإذا كان الأمر على هذا النحو؛ فكيف يدعو وليم جيمس- وهو أشهر وأنشط الذرائعيين- إلى الترحيب بالدين في رحاب هذا المذهب؟ وكيف سيناور فكرياً لتكييفه مع الدين، رغم المفارقة الواضحة بينهما؟ تلك هي المشكلة التي نودّ معالجتها في هذه المقالة المتواضعة، باتباع المنهج التحليلي النقدي الذي نراه مناسباً لهذه المقاربة النظرية التأملية.

التحليل

قبل أن نشرع في معالجة المشكل المطروح، لابدّ أن نتطرق لحياة وليم جيمس صاحب دعوى التقريب بين العلم والدين، وبين البراغماتية والدين والمصالحة بين الطرفين. وسنكتفي بعرض ملخص وظيفي عن حياته، من شأنه إلقاء بعض الضوء على مذهبه بشكل خاص وعلى البراغماتية بشكل عام. ثم نتعرض إلى منابع فلسفته الكبرى، ولكن باختصار أيضاً.

تعريف وجيز بالفيلسوف: إن وليم جيمس(1842-1910) هو الإبن الأكبر للكاتب الساخر هنري جيمس الذي كان لتقديره العميق للدين، رغم اشمئزازه من رجاله، تأثير كبير على ابنه وليم. لقد سافرت الأسرة إلى أوروبا لتحصيل الثقافة الواسعة. فكان من نتيجة

ذلك، تعلّم الإبن في عدد من المدارس المختلفة في ألمانيا وفرنسا على الخصوص. ثم عادت الأسرة إلى أرض الوطن، وقد تشبَّع الإبن وليم بالروح العلمية وبالعقلانية الديكارتية، نتيجة حضوره محاضرات عدد من العلماء والفلاسفة العلميين أمثال الفيزيائي الكبيرهلمهولتسوالطبيب كلود برنارد والفيلسوف رنوفيي. فكان لذلك أثره البالغ في توجيه أفكاره[1].

وما إن عاد إلى إمريكا، حتى شعر بانفتاحها على العمل والنشاط، وبفُرَصها المفتوحة أمام الجميع. فلم يلبث أن لمع نجمه وذاع صيته ذيوعاً لم يشهده فيلسوف إمريكي آخر. وبعد حصوله على درجة الدكتوراه سنة 1870، اشتغل بالتدريس في جامعة هارفارد منذ1872 إلى وفاته 1910. وقد بدأ محاضراته في التشريح وعلم وظائف الأعضاء، علماً بأنه خرّيج كلية الطب. ثم حاضر في علم النفس ثم في الفلسفة. وقد بادر إلى تأسيس أوّل مخبر في علم النفس التجريبي في إمريكا. إن علم النفس عنده يستقي من أمّه الفلسفة التي يُعرّفها بأنها التفكير الوحيد في الأشياء بأفضل طريقة شاملة مدركة. أهم آثاره: "أصول علم النفس"، "البراغماتية"، "إرادة الاعتقاد" و"صنوف التجربة الدينية". [2]

لقد ساهمت مذاهب فلسفية عديدة في التمهيد لنشأة براغماتية وليم جيمس. وإذا كان المقام لا يسمح للتعرُّض إليها بإسهاب؛ فلامناص من الإشارة إلى أبرزها والوقوف عند أهمها على الإطلاق، وهو الفيلسوف المشار إليه في التمهيد، بيرس. كما أنه لا يمكن أن نتحدث عن أصول الذرائعية بدون ذكر الفلسفة التجريبية النفعية الإنجليزية. فهي جزء لا يتجزأ من الفكر الأنجلوسكسوني الحديث الذي بلغ به استيوارتمِل ذروته في القرن الـ19م. كما أنها فلسفة تُدين إلى نقدية الفيلسوف الألماني الكبير كانط؛ إذ كان يرى استحالة إدراك وفهم قضايا الميتافيزيقا بأدوات المعرفة البشرية.

غير أن أهم تأثير على فكر جيمس، صادر من فلسفة شارل ساندرز بيرس(1839-1914). إنه أول فيلسوف إمريكي يخرج إلى العالَم بفكر جديد يبلور فيه الحياة العقلية والحياة العملية في إمريكا. ويعكس فيه عصرنا العلمي بشكل خاص. لقد أنشأ هذا المفكر "البراغماتية" ونحت هذا المصطلح من أصل إغريقي ويعني الفعل أوالعمل. ويقول عن فلسفته أنها فلسفة علمية وعملية لا تأملية؛ حيث أنها تعتمد على الوقائع

---

[1] ديورانت ول، قصة الفلسفة /ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، ط5، 1985، ص616

[2] محمود زكي نجيب، من زاوية فلسفية، دار الشروق، بيروت، 1979، ص 210

الإيداع القانوني: 6111- 2014 / ISSN : 2353 – 0030

التجريبية للتأكد من حقيقة المعاني للكلمات أو العبارات. إن الفكرة لا تتحدد حقيقتها نظرياً، ولكن بوظيفتها. فهي كمفتاح الباب، يتحدد معناهلا بالمادة التي صُنع منها، وإنما بوظيفته. فإذا لم ينفتح به أيُّ باب؛ لم يكن مفتاحاً ولو صُنع من ذهب. أو قُلْ: إن الفكرة هي خطّة عمل وأن ألفاظها ذات دلالة حسية، يمكن التأكد منها بإخضاعها إلى محكّ التجربة. وإلاّ، فهي بغير معنى، مهما أكثر الناس من استعمالها في أحاديثهم.

وينتج عن ذلك ما يلي:

أ. العبارة غير القابلة لهذه الترجمة الذرائعية عبارة خالية من المعنى. لذا، فإن أكثر ما في اللاهوت والميتافيزيقا خالٍ من المعنى

ب. بعض العبارات متساوية المعنى ذرائعياً أي تجريبياً. لكن اختلاف الألفاظ يجُرّ إلى النزاع. لذا، فكثير من الخصومات دافعها سوء التفاهم بين الناس.[1]

والآن، بعد الحديث عن الذرائعية بشكل عام، وبعد عرض الجذور الفكرية لفلسفة جيمس، سنتطرق إلى أبرز معالم فلسفته الدينية.

الدين من وجهة نظر جيمس البراغماتية:

سنتناول هذا الموضوع المحوري في المداخلة من خلال الرد على ثلاثة أسئلة وهي كالتالي:

س 1:ما هو الدين الذي يتناوله وليم جيمس بالدراسة ؟

س2:هل تُقرّ فلسفته باللاهوت أم هي فلسفة إلحادية ؟ وإذا كانت تقرّ باللاهوت؛ فما هو الدين الذي برهنت على أنه الحق دون غيره من الأديان ؟ وما موقفها من الإله الواحد الأحد وهو الله ؟ وما موقفها من المذاهب القائلة بالتعدد؟

س 3: ما موقف هذه الفلسفة من مختلف القضايا الميتافيزيقية ذات الصلة بالدين: مسألة الجبر والاختيار، فكرة الغائية ومصير الإنسان؟ وهل فيلسوفنا متفائل يؤمن بخلاص البشرية من أشكال البؤس والشقاء أم متشائم لا يرى للعالَم خلاصاً ؟

سنحاول تناول كل سؤال بالمعالجة والبحث.

بالنسبة للسؤال الأول:

إن فلسفة جيمس الدينية لم تتناول بالدراسة ديناً معيَّناً لتكشف عن عوامل نشأته ومراحل تطوره وعن مبادئه وطقوسه، وعن علاقته بغيره من الأنساق الدينية والفلسفية تأثيراً وتأثراً، إلى غير ذلك من القضايا التي يشتغل بها مؤرخو الأديان وعلماء اللاهوت.

---

[1] Julia Didier, Dictionnaire de la philosophie, Librairie Larousse, Paris 1978, P150

إن هذا الفيلسوف نظراً لتكوينه الطبّي، وانشغاله بعلم النفس السلوكي، واهتمامه بتأسيس الذرائعية ذات الطابع العملي التجريبي الميداني، نظراً لذلك كله، تناول الظاهرة الدينية المنتشرة بين الناس، وليس المؤسسات الرسمية. فالذي يشغله هو مدى تاثير المذاهب والأفكار الدينية في الحياة اليومية الاجتماعية، سواء تعلق الأمر بالمسيحية أو اليهودية، بالمجوسية أو البوذية، إلى ما هنالك من الأديان. ولا يجب أن ننسى أنه مواطن إمريكي ينتمي الى وطن كبير تمتزج وتتعايش فيه مختلف الأديان والقوميات. قاسمها المشترك هو الكفاح من أجل النجاح في هذه القارة"العالَمالجديد". أما بالنسبة للعالَم الآخرعالَم ما بعد الموت؛ فلكلٍّ شأنه.

إن ما يجمع هذه الأقوام في إمريكا هو المصلحة المادية وليس الجذور والمباديء، هو المستقبل وليس الماضي، هو الأرض وليس السماء. وكان لذلك تأثيره العميق في نشأة الذرائعية بشكل عام وفي فلسفة جيمس وديوي بشكل خاص. ولو ألقينا نظرة فاحصة على فهرس كتابه"إرادة الاعتقاد"- وقد يكون أهمّ ما ألَّفه وخصَّصه للدين- لما وجدنا فصلاً واحداً يتناول هذه المسائل اللاهوتية. كما أن أشهر وأهم كتبه على الإطلاق من زاوية فلسفية، هو كتابه الشهير بعنوان "البراغماتية". فإننا لا نجد أية محاضرة من محاضراته الثمان فيهذا الكتاب تتناول مسألة من هدا القبيل، بما في ذلك المحاضرة الثامنة الموسومة بعنوان "البراغماتية والدين".

بالنسبة للسؤال الثاني:

وهو بخصوص ما إذا كانت فلسفة جيمس لاهوتية أم إلحادية، وما هو الدين الحقيقي في نظرها إذا كانت فلسفة لاهوتية متديّنة؟ وهل تعترف هذه الفلسفة بالإله الواحد الأحد وهو الله أم بتعدد الآلهة ؟ إنه السؤال الجوهري في موضوعنا الذي يستحق التركيز أكثر.

يقول جيمس: "إذا أثبتت الأفكار اللاهوتية أن لها قيمة في الحياة الملموسة؛ فهي أفكار صحيحة بالنسبة للبراغماتية. بمعنى أنها نافعة إلى هذا الحد. أما إلى أيّ حد أكثر من ذلك هي صحيحة؛ فذلك أمر يتوقف كلّياً على علاقاتها الأخيرة التي ينبغي

الاعتراف بها.[1] إن كل ما نحتاج إليه للحكم على الأفكار اللاهوتية، أيّة أفكار: بوذية أو مجوسية أو مسيحية أو إسلامية، بالصحة أو الخطأ، هو تطبيق الطريقة البراغماتية. يقول الناس بأن اعتقادهم بكائن مطلق؛ يمنحهم الراحة والسكينة. وهذا، لأن الإيمان

---

[1] Buckingham Will et autres, Tous philosophes, Edition française au Canada, Québec 2011, P208.

ISSN : 2353 – 0030 / الإيداع القانوني: 6111- 2014

بوجوده يجعلهم واثقين بأن مقادير العالم وشؤونه في يدٍ أحسن من أيديهم. إذن، فلابأس بالإفادة من هذا الدّعم الروحي، مادام للعالم ربٌّ يحميه ويرعاه.

يقول جيمس: "كبراغماتي مخلص، فأنا نفسي ينبغي ان أسمِّي المطلق صحيحاً إلى هدا الحد، وبهذا القدْر. وها أنا أفعل ذلك بدون تردد."[1] فالمطلق أو المبدأ الديني عند جيمس - كما نلاحظ - ليس صحيحاً لأنه مقدَّس ومثالي. ولكنه صحيح لأنه صالح لدواعٍ محسوسة مادية. وهذا، لأنه لو لم يكن في الأفكار الصحيحة خير ونفع في الحياة؛ لكانت الأفكار الكاذبة هي وحدها النافعة. إذن، فما يقال بأن هذه الحقيقة أو تلك من الحقائق الدينية مقدَّسة وعظيمة، يجب السعي لطلبها باعتبارها كذلك؛ هو قول باطل. بل يصبح الواجب حينئذٍ، الإعراض عنها وتجاهلها.

وعليه، إذا استطاعت الأفكار اللاهوتية أن تُشيع الأمن والسلام وتبعث على السكينة والاطمئنان، وإذا تمكّنت فكرة الله بصفة خاصة أن تنجح في القيام بهذا الدور؛ فكيف يمكن للبراغماتية ان تجحد وجود الله؟ إنها لا تجد أيَّ معنى في اعتبار فكرة ناجحة عملياً، فكرة غير حقيقية. إن البراغماتية لاتسأل عن أسماء الله الحسنى وصفاته العُلا وذاته المقدسة لتقرِّر هل تعتقد به أم لا. وإنما تسأل عن نتيجة الاعتقاد به في دنيا الناس، وعلى أرض الواقع. هل لهذا الاعتقاد من مردود محسوس ومادي؟ إذا كان الأمر كذلك، فإنها لا تتردد في إعلان صحة الاعتقاد به، مهما كانت صفاته وطبيعته، حتى ولو كان طوطماً منحدراً من نبات أو حيوان. وخلاصة القول، أن البراغماتية توسِّع مجال البحث في الله والألوهية.[2]

إن الاعتقاد بمذهب ديني ما، عند جيمس، بمثابة فرَض من الفروض. وما دام أنه لا توجد براهين منطقية قطعية على صدقه ولا على كذبه؛ فلنا أن نختار بين الإيمان به أو بعدمه. ومقياس الاختيار عنده، يجب أن يكون المصلحة والفائدة. فإذا كان الناس يجدون مصلحة في الاعتقاد بالله، إذن، فإن المصلحة مبرِّر كافٍ لصحة الألوهية.[3]

يقول وليام جيمس: "إنها [أي البراغماتية] اتجاه تحويل النظر بعيداً عن الأشياء الأوَّلية: المبادئ، النواميس [. . .] وتوجيه النظر نحو الأشياء الأخيرة: الثمار، النتائج،

[1] ديورانت ول، المرجع السابق، ص616.
[2] محمود زكي، المرجع السابق، ص211.
[3] محمود زكي، المرجع نفسه، 202-206

الآثار، الوقائع، الحقائق."[1]. فالحقيقة عنده فورية عملية وظيفية. فعِوَض البحث عن أصل الفكرة وجذورها؛ يجب أن نتّجه إلى فحص نتائجها وفوائدها. وبذلك تحوّل هذه الفلسفة الفكر إلى العمل والمستقبل. ومن هنا، فكل فكرة أو مذهب أو عقيدة أو عبارة هي بمثابة فرضية قابلة للصدق أو الكذب. والمحكّ هو عرضها على الخبرة الميدانية. فإن كانت أداة صالحة لتحقيق منفعة، كانت صادقة، وإلا فهي كاذبة زائفة.

وعليه، فذرائعية جيمس لا تناصب العداء أيَّ اتجاه. فهي بشوشة، منفتحة، ترحّب بأي مذهب في الدين، في الفلسفة، في السياسة، في الاجتماع، وبأية فرضية في العلم. ويمكن أن نجدها في صفِّ اللاهوت يوماً، وفي صفّ الإلحاد يوماً آخر. فهي كالزئبق تماماً، مرة هنا ومرة هناك.[2]

ويعترف جيمس بأن الناس لا يتَّفقون جميعاً على قيمة الفرَض نفسه من حيث الحيوية، القوة والأهمية. لذلك، فما يكون صحيحاً عند هؤلاء، قد يكون باطلاً عند أولئك. وما هو صحيح اليوم، قد يكون باطلاً غداً. ولكنه يعترف في الوقت نفسه، أن فرض وجود الله يتَّصف عند الكثير بالصفات الإيجابية التي تخوِّل الاعتقاد به. أما اللاأدري الذي يرفض الاعتقاد بفكرة لا يثبتها دليل منطقي كافٍ مثل وجود الله؛ فإنه - حسب جيمس- يُفوّت على نفسه فرصة من ذهب؛ إذ يتخلى عن كل أمل في اكتساب حقيقة ممكنة من أجل تفادي الوقوع في خطأ ممكن. إذن، فحقُّه في عدم الإيمان ليس أكبر وأفضل من حق المؤمن المتديّن في الإيمان بوجود الله.[3]

يرى وليم جيمس أن الإنسان يمتلك عبر تاريخه الطويل تجربة دينية. ومفادها، أنه يشعر باستمرار بوجود روح مفارقة له، متعاطفة معه، تحب الخير وتناضل من أجله وتكره الشر وتحاربه. كما أنها تنشر الأمن والطمأنينة وتزرع الأمل في غدٍ أفضل. لذا، فهو يفوِّض أمره لها ويطلب منها العون والعناية، الرحمة واللطف.

وإذا كانت هذه التجربة غير حسية ومتعالية، فهي مع ذلك تجربة شعورية نافعة. وما حقَّق لي نفعاً ومصلحة روحية أو مادية من عقائد ومذاهب دينية؛ كان صحيحاً وحقيقياً. وما كان عائقاً أمام تحقيق المصلحة، عُدَّ باطلاً[4]. بينما المتشبث بالمذهب

[1] وايت مورتون، عصر التحليل(فلاسفة القرن العشرين) /ترجمة: أديب يوسف شيش، مطبعة وزارة الثقافة، دمشق 1975، ص151-152

[2] جيمس وليم، البراغماتية /ترجمة: محمد علي العريان، دار النهضة العربية، القاهرة 1965، ص96.

[3] جيمس، المصدر نفسه، ص96-97.

[4] المصدر نفسه، ص100-106.

2014 -6111 :الإيداع القانوني / ISSN : 2353 – 0030

المادي، صاحب الذهن الخشن- كما يدعوه جيمس – ينكر وجود هذه الأفكار الجميلة الرائعة، مما يقضي لديه على كل أمل في الخلاص مما يشهده العالَم من هلاك، دمار، خراب ومآسٍ. لذا، تجده متشائماً بائساً في مزاجه وسلوكه. وهكذا، يحكم البراغماتي لصالح المتديّن من زاوية مذهبه.[1]

وإذا كان فيلسوفنا يدافع عن الدين (أيّ دين كان)، فإنما يعكس تجربته الخاصة المتمثلة في قلق واضطراب حادٍّ مرَّ به، بلغ به حالة من الانهيار العصبي في مرحلة الشباب. وقد أعانه على تجاوزها اعتناقه للدين. فلو أنه بقي محايداً، سلبياً بشأن اللاهوت؛ ربما لبقي رهن المعاناة أو ربما لتعقَّد وضعُه الصحي. ولذلك يُقرّ ويُلحّ بأنه بشأن المواضيع التي تتجاوز مجال المشاهدة الحسية؛ يكون الفحص التجريبي بحثاً عن بيِّنة متمثلاً في فحص الآثار الناتجة عن الاختيار على أرض الواقع نفسياً أو مادياً. فمصداقية كل فرض ديني أو فلسفي ميتافيزيقي، مرهونة بانعكاسه على أرض الواقع نفعاً وفائدة. وقد أكّد هذه الفكرة في كتابيه :"إرادة الاعتقاد" و"صنوف من التجربة الدينية"[2]. فالعبرة بالمنفعة المادية أو النفسية، لا بالمباديء والمُثُل، وبالمستقبل لا بالماضي.

فلو تخيّلنا أن العالَم انتهى، ولا مستقبل له على الإطلاق، ثم دعونا ثلاثة اشخاص: مادي، لاهوتي وذرائعي، وسألناهم عن مصدر العالم. فالمادي سيبيّن أنه ناتج عن قوى مادية عمياء. واللاهوتي سيبين أنه من خلق الله. وقد ينجح كلاهما في الدفاع عن مذهبه نظرياً. أما البراغماتي، فإنه سيقول بأن المذهبين رغم اختلافهما اسماً ومُسمّى، يعنيان الشيء نفسه. والنزاع بينهما لا معنى له، لأننا نتحدث عن موضوع لا يقدِّم ولا يؤخر وهو أصل الكون. فسواء كان المصدر هو الله أو هوالمادة؛ فإن ذلك لا يمنح أيَّ تغيير في الاتجاه. ولا يمكن ترجمته إلى أداة ووسيلة تُعيننا في عالَم الخبرة على تجاوز عائق ما. ومن هنا، فالجدال بين المذهبين المتعارضين في هذه الحالة تافه وعقيم.[3]

وإذا كان جيمس يُرافع عن الدين ويؤكد الإيمان بالله الشائع عند الكثير، بناء على منهجه البراغماتي؛ فإن هذا لا يعني أنه موحِّد بصفة مطلقة. فبناء على هذا المنهج بالذات، يستبعد التوحيد ويمجّد التعدد: تعدد الكون والآلهة في مواطن كثيرة من

[1] بدوي عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة الجزء 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1984، ص450.
[2] جيمس، المصدر السابق، ص76 9
[3] المصدر نفسه، ص73- 74

نصوصه، حتى يبدو للقاريء أنه تخلّى عن التوحيد. وهذا، لأن جيمس لا يدين بالولاء بصفة مطلقة إلا لمذهبه أو منهجه البراغماتي. فالمنفعة والفائدة عنده أعظم وأهم من كل مذهب أو مبدأ.

إنه يقول إذا كنا نقصد بالألوهية ما كانت تقصده الفلسفة المدرسية وهو الاعتقاد بوجود إله كامل، مطلق، عليم بكل شيء وقادر على كل شيء؛ فهو اعتقاد يجعل الإنسان مسيَّرا وعاجزاً عن القيام بأي شيء، بوحي من قدرته وإرادته. والنتيجة المنطقية السلوكية لهذا المذهب: الاستكانة، الجمود والتصوُّف الهندوسي وانتظار الموت في هدوء وسلبية. إذن، فلا فائدة من القول بهذا المذهب، حتى ولو كان متماسكاً منطقياً. فالناس لا يُقبِلون على المذاهب لأنها معقولة، وإنما لانسجامها مع حياتهم ومصالحهم، أو هكذا يجب أن يتصرَّفوا في نظره.[1]

إن محور موقف جيمس الذرائعي تُجاه الدين والفلسفة، أنه لا يقبل أيَّ مذهب يُحيل الى التأمل في الموت من أجل انتظاره بجمود وسلبية. فلا قيمة لأيِّ مذهب إلا إذا أرشدنا ودفعنا إلى تحسين أوضاعنا الاقتصادية، الاجتماعية، السياسية والثقافية على هذا الكوكب. وهو نفسه قد كرَّس حياته لمثل هذه الأمور. فقد كان عنصراً نشيطاً في مئات المشاريع لخدمة الإنسانية. فكان يدعو إلى استخدام الطاقات البشرية لا في الحروب، وإنما في الكفاح ضد الأمراض والأوبئة، في تجفيف المستنقعات، في ريِّ الصحاري وفي بناء ما تدمّره الحروب. وهذا اعتقاداً منه بتوفر كل فرد على طاقات كامنة تفجّرها ظروف مناسبة.[2]

وهكذا، رأينا كيف أن جيمس أيَّد الاعتقاد بوجود الله والإيمان به على أساس ذرائعي مرة، وأيَّد القول والإيمان بتعدد الآلهة مرة أخرى، على أساس ذرائعي أيضاً.

إذن، لابد من النضال من أجل النجاح واقتناص الفرص في هذا العالَم. ومن هنا، فنحن في نظره، في حاجة الى مذهب يقدّم لنا الكون كمغامرة ومخاطرة، لا كخُطّة مرسومة مسبقاً. لذا، يختار جيمس ذرائعياً القول بالتعدد: تعدد الأكوان والآلهة،عندما يُخيَّر بينه وبين التوحيد. ويقول بأن القدماء آمنوا بالتعدد. فقد يكونون أعقل منّا. وقد يكون التعدد أصدق من القول بإله واحد.[3]

---

[1] ديورانت، المرجع السابق، ص618

[2] مورتون، المرجع السابق، ص145- 146

[3] بدوي، المرجع السابق، ص450

الإيداع القانوني: 6111- 2014 / ISSN : 2353 – 0030

ورغم تفضيله لمذهب التعدد، فإنه يحافظ على روحه المرنة قائلاً بأن موقفه هذا مؤقت، أي في انتظار مزيد من التحقق التجريبي من صدق الفرض. وقد تكشف الأيام عن قوة الفرض الآخر[1]. كما يُطلّ علينا في موضع آخر ليقول لنا بليونته ومرونته المعهودة بأن العالَم لا هو واحد بشكل مطلق، ولا هو متعدد بشكل مطلق. فهو واحد بقدر ما تشهد به الخبرة من تسلسل أجزائه وحلقاته وتشابك جوانبه. وهو متعدد بقدر ما تشهد به الخبرة من انقطاع وانفصال فيه هنا أوهناك.[2] وهو ما ينسجم مع ما عُرف عنه باسم"الواحديةالمحايدة". هذه الفكرة التي استخدمها كأداة للمصالحة والتقريب والتوفيق بين مختلف الأضداد: الواحدية والتعدد، الفكر والمادة،العقل والجسم. وهي فكرة تعود جذورها إلى نظريته في علم النفس التي سعى بها لإلغاء الثنائية التقليدية بين الحس والحدس وبين الفكر والجسم أوالعقل والبدن.

بالنسبة للسؤال الثالث

وهو السؤال الخاص بموقفه من مختلف القضايا الميتافيزيقية ذات الصلة بالدين وبالألوهية على وجه الخصوص. فحوْل مسألة الإرادة الحرة التي انقسم الفلاسفة بشأنها إلى فِرَق ومذاهب؛ فإن البراغماتي، جرياً على مذهبه في قياس الأشياء بوظائفها ونتائجها، يقبل القول بالإرادة الحرة وبالتسليم بوجود حدود لسلطان الحتمية المتحكم في الطبيعة. وهذا، لأن الإيمان بهذا الهامش من الحرية، يفسح المجال للتفاؤل عند الناس انطلاقاً من الشعور بأن الأمور تبشّر بمستقبل أفضل، شريطة النضال من أجل تحقيقه. وهذا، تماماً مثل الإيمان بالله وبالقوة المدبِّرة.

وهذا، لِمَا لهذا الاعتقاد من أثر إيجابي على حياة الناس؛ إذ أنه يفسح المجال للنضال وسط القوى المتصارعة من أجل إيجاد موقع وتحقيق مصلحة. بينما القول بالتوحيد بدون قيد أو شرط يوحي بفكرة أن الإنسان مسيَّر بإرادة الله المطلقة في كل أعماله وأفعاله،مما يثبّط عزيمته ويجعله مستسلماً للأقدار كريشة في مهبّ الريح،لا قوة له ولا حيلة. وفيما عدا هذه الأهمية العملية؛ فإن مختلف الحجج الفلسفية، على وجاهتها النظرية المنطقية، كلام فارغ المحتوى ولامعنى له ذرائعياً من وجهة نظرجيمس.[3]

---

[1] بدوي، المرجع نفسه، ص459

[2] جيمس، المصدر السابق، 347- 349

[3] المصدر نفسه، ص136

والحق أن موقفه هذا يجعله في انسجام تام مع أغلب مفكري هذا العصر، إذ نجد أن أغلبهم لا يقول بالجبرية المطلقة ولا بالحرية المطلقة. إنما يتَّجهون إلى القول بالتحرر. فالإنسان مُحاط ومقيَّد بجملة من القيود وخاضع إلى ضغوط مختلفة. ولابدّ له من الوعي بها وبأسبابها، كما لابد له من العمل والكفاح من أجل تجاوزها والتخلص منها. فبالوعي والعمل يتحرر الإنسان من مختلف الضغوط والقوى الطبيعية والاجتماعية. يقول كارل ماركس: "ليس المهم أن نفني أعمارنا في البحث عن الحرية، بقدر ما يهم أن نعمل لكي نكون أحراراً."

ومما لاشك فيه أن معالجة مسألة الجبر والاختيار تحيل إلى فكرة الخلاص من عدمه. فكلّما زادت الضغوط، القيود والظروف المانعة؛ قلَّ احتمال الخلاص من مظاهر الشقاء في العالَم. وكلما نقصت؛ زاد احتمال الخلاص من مظاهر الشقاء. والمؤمنون المتديّنون أصحاب المذهب العقلي عند جيمس، يعتقدون بأن الكون صائر لا محالة إلى الخلاص، الأمر الذي يجعلهم متفائلين. أما أصحاب المذهب المادي التجريبي المتطرف عنده، فهم ملاحدة يرون استحالة الخلاص، مما يجعلهم متشائمين. أما أصحاب المذهب البراغماتي، فيقفون في الوسط؛ إذ لا يقولون بحتمية الخلاص ولا باستحالته، وإنما بإمكانه. ومستوى الإمكان يقع بين الوجود والعدم.[1]

وإذا كان فيلسوفنا يعتبر الخلاص ممكناً، فهذا على أساس ذرائعي أيضاً. فمن الناحية الواقعية العملية، نجد أن القول بالإمكان لا يمكن إلغاؤه تحت أيّ مبرر. فلا يمكن لأيّ موجود أن يلغي شيئاً ممكناً. وحتى إذا لم تتوفر على أرض الواقع شروط الخلاص، فهذا لا يعني أنه مستحيل، أي أنه ممكن دائماً. والحال، أن أنواع الممكن ليست منعدمة دائماً. فهي على العموم تستند إلى أساس وضعي محسوس. وفي هذه الحالة، وهي الأغلب، أنه ليس فقط أنه لا توجد ظروف مانعة، بل يوجد ظرف واحد على الأقل يسمح بتحقّق المشروع الممكن. وهذا يكفي لزرع الأمل في النفوس.[2] وزرع الأمل دافع نحو العمل. يقول الشاعر:

نعلِّل النفس بالآمال نَرقُبُها... ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل

ويضرب جيمس مثالاً للتوضيح وهو كما يلي: إن القول بدجاجة ممكنة يعني :

1. هناك فكرة دجاجة، وهي فكرة لا تنطوي على أيّ تناقض ذاتي طبقاً لقانون الهوية.

[1] أورمسون وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة / ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1963، ص134- 135

[2] جيمس، المصدر نفسه، ص125

ISSN : 2353 – 0030 / الإيداع القانوني: 6111- 2014

2. إنه لا يوجد ما يهدّد وجود الدجاجة في المحيط القريب.

توجد بيضة واحدة على الأقل، ما دام هناك قول بإمكان وجود دجاجة. وعندما تتوفر جميع الشروط اللازمة، تتحول الدجاجة من طور الإمكان إلى طور الحقيقة[1].

وعليه، فإن القول بإمكان خلاص العالم، يعني ذرائعياً توفر بعض شروط خلاصه وإنقاذه عند الناس. وكلما توفرت شروط أكثر في هذا الاتجاه، وكلما انخفض رصيد الظروف المانعة؛ زاد احتمال أن يصبح الخلاص حقيقة مجسّدة. وهو أمل جميع الناس الأسوياء، إذ أن المرضى والتعساء وحدهم هم الذين لا يكترثون بهذا الأمر. أما الأشقياء الآخرون من ذوي المذهب المادي المتطرف التشاؤمي، فيعتقدون باستحالة خلاص العالم.[2]. وبين المذهبين المادي الخشن المتشائم والمثالي المرن المتفائل، وكلاهما متطرف وكلاهما سلبي لا ينفع البشرية في شيء؛ يوجد ما يجوز تسميته بالمذهب الارتقائي المعتدل الذي يؤمن بأن العالم يرتقي ويتطور نحو الأفضل، لكن بشرط كفاح الإنسان من أجل توفير الظروف الملائمة لتحويل الحلم، وهو خلاص العالم من ضروب الشقاء، إلى حقيقة قائمة. وهذا المذهب المعتدل الارتقائي هو الذي تذهب إليه الذرائعية.[3]

مناقشة وتعليق:

أوّلاً وقبل كل شيء، يجدر بنا أن نبدأ بما نراه أهمّ، وهو التصدّي لمناقشة نظرية وليم جيمس الدينية، قبل التعليق على الذرائعية بوجه عام، وعلى ذرائعيته بوجه خاص في العنصر الأخير.

1- مبدأ جيمس الديني على محكّ آليات المنطق الرياضي :

إنه من المعروف عند بعض مؤرّخي الفلسفة المعاصرة، أن بيرس عالِم المنطق ومؤسِّس الذرائعية وجَّه نصيحة إلى مواطنه رويس الذي يشكّل اتجاهه المثالي الاستثناء في الفلسفة الأمريكية ذات الطابع البراغماتي بوجه عام، قائلا: "لماذا لا تدرس المنطق الرياضي يا رويس؟ فهذا سيوضّح فرضيتك وسيوحِّد نسقك الفلسفي. " وقد عمل رويس بالنصيحة، حتى صار من المناطقة المعاصرين، ودرس على يديه ثلة من الطلبة أصبحوا مناطقة فيما بعد، أشهرهم موريس كوهن، لويس وشيفر.[4] فحبذا لو أسدى

---

[1] ديورانت، المرجع السابق، ص618- 619

[2] ديورانت، المرجع نفسه، ص622

[3] المرجع نفسه، ص620- 621

[4] جيمس، المصدر السابق، ص196

بيرس هذه النصيحة إلى وليم جيمس، وهو رفيقه في الذرائعية وصديقه الحميم قبل إسدائها إلى رويس.

وحتى لا يُقال أننا نتطاول على كبير فلاسفة إمريكا وليم جيمس؛ نبدأ بفحص مبدئه الديني بآليات حساب القضايا وحساب المحمول:

يرى جيمس أنه إذا كان الاعتقاد بأيّ مذهب ديني نافعاً من الناحية المادية؛ فإنه اعتقاد صحيح. فإذا قبلنا هذه العلاقة اللزومية؛ يجب أن نقبل ما يترتب عليها منطقياً بواسطة قانون عكس النقيض وهو العلاقة الآتية: إذا لم يكن الاعتقاد صحيحاً(أي كاذباً)، فإن المذهب الديني غير نافع.

ولكن، هل كل اعتقاد كاذب ليس بنافع مادياً بالضرورة عند جميع الناس؟

لو كان الأمر كذلك؛ لما احترف الكثير من الناس الكذب، المراوغة، التحايل والدَّجل. إنهم يمارسون ذلك من أجل تحقيق مصالحهم المادية لا أكثر. ومن هنا، مادامت النتيجة المترتبة على مبدئه البراغماتي باطلة؛ فالمبدأ باطل أيضاً؛ لأن الكذب لا يلزم عن الصدق، في حين يجوز لزوم الصدق عن الكذب.

وسيتبيّن لنا بطلان المبدأ الذرائعيالجيمسي أيضاً، إن ترجمناه من لغة حساب القضايا إلى لغة حساب المحمول كالآتي: بالنسبة لأي مذهب ديني، إن كان نافعاً فإنه يكون صحيحاً. (وهي ترجمة للكلية الموجبة في المنطق الأرسطي). فإن كانت هذه القضية صحيحة، فإن نقيضها يجب أن يكون كاذباً،وفقاً لقانون التقابل في المنطق الصوري والرياضي. وصيغة النقيض بلغة حساب المحمول عبارة عن قضية مركّبة وصلية كالآتي: يوجد مذهب ديني واحد على الأقل، بحيث يكون نافعاً ولا يكون صحيحاً. (وهي ترجمة للجزئية السالبة في المنطق الأرسطي). وواضح أن هناك أكثر من مذهب ديني واحد في العالم، كلها أوجلها أباطيل، أساطير وخرافات. فهناك من يقدّس النبات وهناك من يقدّس الحجر وهناك من يسجد للشجر وهناك من يسجد للبقر، اعتقاداً من العابد أن معبوده هو أصل الكون وخالقه ومصدر كل خير وبركة. ومع ذلك، يحرص أتباع كل دين على التمسك به لأنه يخدمهم أو يخدم نبلاءهم وأصحاب النفوذ عندهم.

إذن، فالقضية الوصلية المناقضة صادقة و- بالتالي – مبدأ جيمس أعلاه باطل، بناء على قانون التقابل بالتناقض القائم بدوره على قانوني عدم التناقض والثالث المرفوع.

الإيداع القانوني: 6111- 2014 / ISSN : 2353 – 0030

2- تدنيس للدين لا تقديسه :

مما لا شك فيه، أن الدين –كما هو معروف لدى الجميع- يتمثل في الاعتقاد بمنظومة من الأفكار أو الشرائع أو القِيَم بقوى مطلقة روحية ومقدَّسة، مع انعكاس هذا التقديس في طقوس وعبادات. فأين التقديس في الخضوع للمنفعة والمصلحة المادية بشكل واضح وفاضح؟ يقول جيمس بأنه إن كان في الاعتقاد بالله مصلحة مادية؛ فأنا أول المؤمنين. وإلاّ، فأنا ملحد مارق.

إنه إيمان وتديُّن أشبه بتديُّن سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله تعالى عنه) في الجاهلية، حيث يقول عن نفسه أنه صنع إلهاً من تمر، فعبده. ولكنه لما جاع أكله.

إن الاحتكام للرغبات، المصالح المادية، الغرائز والشهوات يُفقد الدين قدسيته وتعاليه ويهبط به إلى الحضيض.

وإذا كان هذا شأن الدين؛ فالحيوان الأعجم حين يقف عند تلبية غرائزه كائن متديّن أيضاً. وإذا كان متديناً؛ فهو كائن مثقف و- بالتالي- هو كائن عاقل وقادر على بناء حضارة، وهذا محال. إذن، فالحيوان الأعجم أبعد ما يكون عن الدين. وكذلك شأن المرء الخاضع لمصالحه المادية، لأهوائه وغرائزه فقط، أبعد ما يكون عن الدين.

إننا إذن،أمام إحياء المذهب النفعي القديم مع أبيقور والمذهب النفعي الحديث مع بكاريا، بنتام، جيمس مل واستيوارت مل. وقد ذكرنا في بداية التحليل أن الذرائعية سليلة التجريبية النفعية الإنجليزية (بالإضافة إلى التطورية الحديثة والعلوم الحديثة). وأقوى وأشهر ردّ على هؤلاء النفعيين الإنجليز والأمريكان وغيرهم، أن مجال الأخلاق هو مجال أحكام القيمة لا أحكام الواقع، أي مجال السلوك كما يجب أن يكون، لا مجال السلوك كما هو كائن. وما يقال عن القيم الخلقية يقال عن التعاليم الدينية.

3- الأبعاد السلبية الخطيرة للذرائعية:

أما إذا انتقلنا إلى الأبعاد السياسية والاقتصادية للذرائعية؛ فإننا نسجّل أن الولاء الأمريكي المطلق لهذه الفلسفة، هو الذي يجعل الولايات المتحدة الأمريكية تتحالف مع هذا المعسكر أو التكتل الديني مرة ومع المعسكر أو التكتل الديني المضاد مرة أخرى، وهذا خدمة لأغراض سياسية أو اقتصادية أوعسكرية. والتاريخ المعاصر شاهد على ذلك. فقد تحالفت إمريكا مع الإسلاميين لإسقاط المعسكر الشيوعي. وتحالفت مع الشيعة لإسقاط السنّة والعكس صحيح. بل أننا نشهد اليوم منذ حكم نظام الرئيس الأسبق بوش تزكية إمريكا ومباركتها ورعايتها للتحالف القائم بين رجال الدين الإمريكان،

وهم مسيحيون بروتستانتيون، ورجال الدين الصهاينة وهم حاخامات يهود. وقد وصل هذا التقارب إلى درجة تبرئة اليهود من دم المسيح، مما يمثّل خرقاً لمبدأ تقليدي أساسي في العقيدة المسيحية وعند المسيحيين. وهذا كله من أجل توفير الغطاء الديني الإيديولوجي للتقارب السياسي، العسكري والاقتصادي.

فبالنسبة للسياسة الأمريكية البراغماتية، لا وجود لصديق دائم ولا وجود لعدوّ دائم ولكن هناك مصلحة دائمة. فالدين الحق والخير الحق هو ما كان ذريعة لجلب مصلحة وربح. والدين الباطل والشر المستطير هو ما جلب مضرَّة وخسارة. إن الفلسفة البراغماتية–ولا سيما براغماتية جيمس- تقدّم التبرير للتصرفات الانتهازية الميكيافيلية عند الأفراد، الجماعات والدول. فهي فلسفة تبرّر تسلط الأقوياء على الضعفاء وتفسح المجال لاستغلال الكادحين في الدول الرأسمالية، وللهيمنة الإمبريالية على دول العالم الثالث. وهذا، لأنها فلسفة ترى أن كل تصرف جرَّ نفعاً ومصلحة هو تصرف صحيح وسليم.

4- تعليق أخير على الفلسفة الذرائعية:

خلاصة القول، أن أبرز ما جاءت به هذه الفلسفة الذرائعية، يتمثل في كونها واضعة لمقولات جديدة محلّ مقولات تقليدية أهمها: الحدث محل الجوهر، الفعل محل التأمل النظري، المستقبل محل الماضي، المنطق محل البلاغة، الروح التفاؤلية محل الروح التشاؤمية، البحث الفكري ضمن فريق محل البحث في برج عاجي، الديانة العملية محل الدين الدوغمائي.[1] يقول ديوي، وهو من مؤسّسي هذه الفلسفة كما ذكرنا: "إذا كان لكل أمة فلسفتها؛ فإن على الفلسفة الأمريكية أيضاً أن تعي الحاجات الخاصة لإمريكا والمبدأ الكامن في نجاح العقل فيها"[2].

وهذا لا يعني أنها فلسفة قومية خاصة بالإمريكان وحدهم، بقدر ما تعني ارتباط وعيهم الفكري والثقافي بحاجاتهم الخاصة، كوافدين جُدُد من مختلف البلدان، إما طمعاً في ثروة أو هروباً من اضطهاد. إذن، فلا بد لهم من إنشاء فلسفة يتكامل نسقها مع نسق الحياة العملية، وتنسجم مع طموح هؤلاء الناس في النجاح، الحرية، الديمقراطية والعمل. وتنظر إلى المستقبل والثمار، لا إلى الماضي والجذور. ومحكّ الحقيقة عندها هو محك الخبرة على الأرض وليس التأمل النظري.[3]

---

[1] جيمس، المصدر نفسه، ص180

[2] المصدر نفسه، ص145- 154

[3] المرجع نفسه، ص12 29 - ص15

ISSN : 2353 – 0030 / الإيداع القانوني: 6111- 2014

أجل، يبقى الجانب الإيجابي في هذه الفلسفة، أنها فلسفة فعّالة لا تؤمن إلا بالعمل والفاعلية والنشاط. فكل فكرة أوعبارة أو مذهب، إن كان قابلاً للترجمة إلى أداة ووسيلة عملية ترتقي بالفرد والمجتمع إلى وضع أحسن سياسياً أو اقتصادياً أو ثقافياً أو اجتماعياً، إن كان كذلك كان أهلاً للترحيب والاعتبار. فهي فلسفة تقف بالمرصاد ضد كل مذهب سلبي جامد ينتظر الموت في سكينة وجمود. فما أحوج الدول والأمم المتخلفة والسائرة في طريق النمو، إلى فلسفة تدفع إلى التطور والتقدم نحو مستقبل أفضل.

الخاتمــة :

وهكذا، نستخلص أن نظرية وليم جيمس الدينية، ما هي سوى مقاربة ذرائعية لا تتحيَّز مع ولا ضد أي دين من الأديان. ولكنها تنظر إلى الأديان نظرة الباحث للفروض العلمية. فإذا كان محك التحقق من صدق هذه الفروض هو التجارب العلمية؛ فكذلك الأمر بالنسبة للحكم على المذاهب الدينية بالحقيقة أو الزيف. فإذا نتج عن اعتناق عقيدة ما، آثار حسية أو نفسية أو اجتماعية نافعة؛ كانت هذه العقيدة صحيحة. وإلاّ، فهي باطلة زائفة في نظر جيمس.

وقد بقي هذا الاتجاه النفعي الذرائعي مهيمناً على الفلسفة الإمريكية، بل وعلى كل أنماط الإيديولوجيا في الولايات المتحدة (مع تسجيل استثناء لدى بعض الفلاسفة). لقد بقي هذا الاتجاه سائداً طاغياً منذ نشأته إلى يومنا هذا، مروراً بالواقعية الجديدة والواقعية النقدية، وصولاً إلى الذرائعية الجديدة مع ريتشارد رورتي(1931-2007) في الربع الأخير من القرن العشرين.

ولا أدلَّ على ذلك من تعاون رجال الدين الإمريكانوالصهائنة- المذكور آنفاً- بإيعاز من ساساتهم، لتأسيس ما أصبح يُدعى بالصهيونية المسيحية في مطلع القرن الحادي والعشرين. وهو اجتهاد مردُّه الوحيد، الباعث الذرائعي الذيتحكم في السياسةالإمريكية التي لا تدين بالولاء إلا للبراغماتية ولنبيِّها وليم جيمس بالدرجة الأولى.

المراجع باللغة العربية

1. أورمسون ج. وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة1963.
2. بدوي عبد الرحمن، موسوعة الفلسفة ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت1984
3. جيمس وليم، البراغماتية، ترجمة: محمد علي العريان، دار النهضة العربية، القاهرة1965.
4. ديورانت وِل، قصة الفلسفة، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف ط5،بيروت1985.

5. ديلودال جيرار، الفلسفة الإمريكية، ترجمة: جورج كتورة وإلهام الشعراني، المنظمة العربية للترجمة،بيروت2009.

6. محمود زكي نجيب، من زاوية فلسفية، بيروت والقاهرة، دار الشروق1975.

7. وايت مورتون، عصر التحليل(فلاسفة القرن العشرين)، ترجمة: أديب يوسف شيش، مطبعة وزارة الثقافة، دمشق1975.

المراجع باللغة الأجنبية :

1. Buckingham Will et autres, Tous Philosophes, Edition Française au Canada, Québec2011.

2. Julia Didier, Dictionnaire de Philosophie, Librairie Larousse. Paris 1978.